

10

قصص الصحابية

سلسلة

الشهداء

سليمان العناني

دار اللطائف
للطباعة والنشر

سيد الشهداء

(حمزة بن عبد المطلب)

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة

إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجي ونرتجي

لحمزة يوم الحشر خير مصير

صفية بنت عبد المطلب (أخت حمزة)

لو قلنا صفحت التاريخ كلها بحثا عن صاحب اسم

يقارب صاحب هذا الاسم صلة بالنبي محمد - عليه

السلام - لما وجدنا ..

هذا هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ..

عم النبي الكريم .. وهذه هي الصلة من جهة الأب ..

فملا عن الصلة من ناحية الأم ؟

إنها هي الأخرى وطيدة ولصيقة ..

(فاة بنت مبر) أم النبي الكريم هي ابنة عم (عالة

بنت أقياب) أم حمزة .. إذا فهما في حكم أولاد (الخالة)



فما بعد ذلك وقبله أخوان في الرضاعة .. حيث أرضعتهما
(ثوية) جارية (التي تَبِي بن عبد المطلب) عم النبي وشقيق
أبيه .. هما هما .. (محمد) و(حمزة) متقاربان في العصر
ومتحدثان في الرضاعة ولصيقان في النسب ..

لكن طفولة الرجلين لم تكن متشابهة ..

فهذا (محمد اليقيم) .. بحب العزلة والنفرد بنفسه .. يتأمل
الكون وي طرح على نفسه أسئلة عن صانع هذا كله
وخالفه .. برعى الأغنام ويتعد عن كل أماكن اللهو ..

أما (حمزة بن عبد المطلب) فكان مختلفاً .. فقد نعيم عنان
أبيه حتى بلغ الثامنة .. وبعد موت أبيه نهل من حُضْنِ أمه
(عالة) من الرعاية والعطف ما عوّضه عن فقد أبيه ..

وكان (حمزة) فتى قوي البنية .. يناطح أثراهم ويسارع في
سباقهم ويؤزمهم في ركوب الخيل وفنون القتال وهو لم يزل
صغيراً .. أما الصيد فقد كان هوايته الأولى .. يخرج للفلاة
كل صباح حاملاً سهامه فيأري أثرائه ويحقق تفوقاً على
غزلان الصحراء وطيورها .. في الجفة والسرعة .. وكثيراً ما
عاد إلى بيته مع غروب الشمس حاملاً صيده

لم تكن حيلة حمزة هي الصيد والمغامرة والتدريب على فنون القتال فقط .. بل كانت مع هذا .. مشاركة طقوس قريش وعموراً في قيادة شئون الحياة .. لم لا .. وهو ابن أشرف بيوتها وأعلاها نسباً !؟

أصبح (محمد) هو حديث أهل مكة كلها ..

الفقراء يتكلمون عن جنة العسل والمساواة والحق وعس دين يقول : ﴿إِنَّ أَخْوَفَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّفَاقُكُمْ إِنَّ اللَّهَ غَلِيظُ عِقَابٍ﴾ .

والأغنياء يعارضون هذا الذي يُسقته أفكارهم ويدعوهم لعبادة إله واحد .. ويريدون أن يحطّم أصنامهم ويأمروهم ألا يسجدوا إلا لله الواحد القهار ..

الفقراء يتسللون إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم .. يحفظون عن النبي ما أوحى إليه من القرآن ويصلون خلفه ويمتهلون ..

والأغنياء يرفعون أصواتهم عند الكعبة معلنين رفضهم واعتراضهم بل ويحرضون الآخرين لمخلوبة (نسيم بني هاشم) ومنافضة أفكاره وأقواله .

فلما عن أشرف بني هاشم ؟ ملأ عن أهل (محمد)
وعشيرته ؟ ملأ عن أعماله وأسرته ؟

كان هناك من أهل (محمد) من آمن به .. فقد آمن به كل
أهل بيته : زوجته (خديجة) ومولاه (زيد) وابن عمه
(علي).

وكان هناك من آلمه ومنع عنه الأذى مثل عمه (أبو
طالب).. فلما عن (حزرة) ؟

كان (حزرة) هو أقرب الناس إلى (محمد) وأكثرهم معرفة
بصديقه وأمانته.. وكان يعرف أن حديثه كله صدق وحق ..
لكنه كان يحلم بالسلاح والمزمار بين سلاح قريش
وزعمائها ..

وكان (عمد) يرقب عمه ويعرف نفسه الصافية ورجاحة
عقله ويعرف قوته وفتوته وينمته إلى جواره يؤثله ويؤازره ..
وينتظر لحظة ينير فيها الله بصيرته ..

كان (حزرة) عائداً من رحلة صيد عندما سمع من يناديه
هاشم فتلفت حوله ليجد أخته وأخته من خدم (عبد الله بن
جدة) فتوجه إليه بالحديث

(با أبا عمارة .. لو رأيت ما لقي ابن أخيك (محمد) انسا
من أبي الحكم بن هشام) .

فسألها (حمزة) في لفة : ماذا حدث ؟

- وجده جالسا فسبه وأذاه ، وبلغ منه ما يكره ، فأنصرف
عنه (محمد) ولم يكلمه .

واشتعلت الثورة في رأس (حمزة) .. وهاج وغضب -
فكيف يُلحق هذا الأحمق (أبو جهل) الأذى بأخي وابن
أخي وابن خالتي ثم لا أمتنع عنه ما يؤذيه ؟ .. كيف يحدث
هذا وأنا أحياء على هذه الأرض ..

وأسرع (حمزة) الخطوة في اتجاه الكعبة قاصداً (أبي جهل)
حتى وجده جالسا وسط مجموعة من التجار والأشراف ..

وكانه صفرٌ يعرفُ فريسته .. رفع (حمزة) قوسه فضرب به
رأس (أبي جهل) فتشجه .. وسك الدم على وجه الرجل ..
ونظر متعجبا مثلما نظر كل من حوله .. وقد بدا في العيون
سؤال واحد .. لماذا تضرب (با حمزة) هذا السيد فتسبل منه

الدم ؟

وقبل أن يتفوق الجالوس من صلعهم .. جاء صوت (حمزة)

مَكَانَهُ جَارِجٍ مِنْ تَوَعُّدِ بَرْكَانٍ ..

أَنْتُمْ (عَمْدًا) وَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَفُولُ .. ثُمَّ نَظَرَ
حَمْزَةً إِلَى (أَبِي جَهْلٍ) فِي تَحَدٍّ قَائِلًا : رَدِّهَا عَلَيَّ إِنْ
اسْتَطَعْتَ .

وَهَمَّ بَعْضُهُمْ فَأَتَمَّا يَرُدُّ عَلَى (حَمْزَةَ) مَا صَنَعَ (بِأَبِي
جَهْلٍ) .. لَكِنِ الْآخِرَ رَفَعَ يَدَهُ إِلَيْهِمْ يَنْعِهِمْ قَائِلًا : (دَعُوهُ ..
فَقَدْ سَبَّيْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا) ..

وَوَسَطَ ذَهْوِلِ الْجَمِيعِ أَغْلَا (حَمْزَةً) قَوْسَهُ إِلَى مَكَانِهَا
وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ ..

عَلَا (حَمْزَةً) إِلَى بَيْتِهِ وَقَدْ لَزِمَتْ رَأْسَهُ بِالْأَفْكَارِ ..

عَلَا بِتَسَاوُلٍ عَمَّا حَدَّثَ .. وَكَيْفَ حَدَّثَ .. وَلِهَذَا حَدَّثَ ..

لَقَدْ أَعْلَنَ عَلَى مَسْمَعٍ مِنْ مَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ زُعَمَاءِ
قُرَيْشٍ وَوَجْهَانِهَا أَنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ .. أَنَّهُ يَتَّبِعُ دِينَ أَبِي أَخِيهِ
(عَمْدٍ) .. وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْدَثْ .. فَهُوَ لَمْ يَسْمَعْ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ
أَخِيهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ وَغَمَّ أَنَّهُ مَوْفَّقٌ مِنْ صَدِيقِهِ فَمَلَّأَ يَقُولُ
(عَمْدٍ) : إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَدْعُو .. لَا يَدْرِي أَنَّهُ يَعْرِفُ .. لَا يَدْرِي
يَسْمَعُ وَأَنْ يَفْتَنَ ..

لقد أعلنَ (حمزة) إسلامه في لحظة انفعال .. وهذا أمرٌ لا يستقيم وعقلي الرجل وذكائه ورجلته .. أبغى دينه في لحظة غضبه .. وتقلبَ (حمزة) في فرائضه .. فكيف يزوره النومُ بعدما حدثَ ، ومع خيوط الصباح الأولى ذهبَ (حمزة) إلى الكعبة فاتجه إليها بوجهه وقلبه وراح ينشدُ عقله وقلبه أن يدلّه على الصواب ..

ويعون الله .. أدرك الصواب ..

ويحكى (حمزة) عن هذه الأيام العصيبة من حياته فبقول :
(أدركني الندمُ على فراق دين آبائي وقومي ، وبثُّ من الشكِّ في أمرٍ عظيمٍ لا أكتحلُ بنوم .. ثم أتيت الكعبة ونضرتُ إلى الله أن يشرحَ صدري للحقِّ ويذهبَ عني الريبَ .. فاستجابَ الله لي وملا قلبي يقيناً .. وغدوتُ إلى رسول الله فاتخبرته بما كان من أمري فدعا الله أن يثبتَ قلبي على دينه ..)

وهكذا أعزَّ الله دينه بهذا الفتى الهاشمي وكسلاً انضملته إلى كتبه الإيمان تقويةً لوقفه المستضعفين من أتباعه ..
وواظبَ (حمزة) على حضور مجالس النبي وسماع دعوته

حتى أصبحت معالم الإسلام تحري في عروقه مجرى الدم
وفي صدره مجرى النفس ..

ويكفينا كي نعرف أثر انضمام (حمزة) إلى كتيبة المسلمين
أن نذكر هذا اليوم الذي دقت فيه قبضة (عمر بن
الخطاب) القوة بـ (غار الأرقم بن أبي الأرقم) وارتعد
البعض خوفاً .. يومها تقدم (حمزة) يفتح الباب وهو يقول
لمن معه :

(لا ترأعوا .. إن كان عمر قد جاء يريد منا خيراً بذلته
له ، وإن كان يريد بنا شراً قتلته بسيفه) .

فمن غير (حمزة) كان يستطيع أن يقول مثل هذا .. ومن
غيره كان يمكن أن يقف مثل هذا الموقف ..

تزوج (حمزة بن عبد المطلب) من (سلمى بنت عميس)
وهي أخت شقيقة (الاعاء بنت عميس) التي تزوجت من
(جعفر بن أبي طالب) ابن عم النبي - عليه السلام -
وهاجرت معه إلى الحبشة ..

وإلى المدينة المنورة هاجر (حمزة) ليكون مع ابن عمه
وأخيه ورسوله ونبي دينه .. هاجر (حمزة) مع صفوة الصحابة

وقد ترك زوجته (سلمى) ووحيدته (أمعة) بمكة - وأنشأ النبي - عليه السلام - بينه وبين (حيه) (زيد بن حارثة) .

لم تكن هجرة الرسول وصحبه إلى يثرب هي بداية الهدوء والاستقرار للمسلمين .. بل كانت بداية النضج السياسي والعسكري لتوطيد أركان الدولة الجديدة ..

وبدأت السرايا والحملات تخرج حاملة لواء الإسلام ويحمل (حمزة بن عبد المطلب) أول هذه الألوية .. ويكون أول من حمل لواء في الإسلام ..

ويكون (الحمزة) الضربة الأولى في موقعة (بدر) عندما صرخ (الأسود بن عبد الأسد المخزومي) .

وفي أول مبارزة بين المسلمين وفرسان قريش .. برز حمزة ابن عبد المطلب وعليه بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث .. وتفوق سيف الإسلام في يد أبنائه الإسلام .

وكان (حمزة) واحدًا من أبرز فرسان المعركة .. أطلع سيفه برقاب غير قليلة لزعماء الشرك وقادة الضلال .. وإذا كان المسلمون قد اجتمعوا ليكتبوا قصيدة نصرهم في (بدر) دفاعًا عن الدين الحق .. فقد كان لحمزة شرفٌ تسطير أسم

أَيُّهَا بَشَرُ الْفَصِيلَةِ وَاتَّشِدَّ قَوَائِمَهَا ..

وَتَمْلَأُ الْقُلُوبَ لِلشَّرِكََةِ غِلًا فَوْقَ غُلِّهَا .. وَهَمَّ يَذْكُرُونَ
(سورة) كُلَّمَا تَذَكَّرُوا مَصْرَعَ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَوْ مَقْتَلِ فَارِسٍ ..
وَمَا أَكْثَرَ مِنْ صُرْعٍ أَوْ قُتْلٍ ..

وَجَمَعَتْ قَرِيشُ فَرَسَاتِهَا وَاسْتَمَالَتْ مِنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْ
الْقَبَائِلِ وَحَمَلَتْ مَا لَمْ تَحْمِلْ مِنْ قَبْلُ مِنَ السِّلَاحِ وَالْعَتَلِ كَمَا
حَمَلَتْ فِي قُلُوبِهَا مَا لَمْ تَعْرِفْ مِنْ قَبْلُ مِنْ حَقْدٍ وَغِلٍّ وَرَغْبَةٍ
فِي الْإِنْتِقَامِ ..

عَامٌ كَانَ قَدْ مَرَّ عَلَى مَرْقَعَةٍ (سدر) .. فَضَلَّه الْمُشْرِكُونَ فِي
الِاسْتِعْدَادِ لِلْإِنْتِقَامِ حَتَّى امْتَلَأَتْ الْقُلُوبُ بِالرَّغْبَةِ فِي
الْقَضَاءِ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْجَدِيلَةِ الَّتِي قَتَلَ أَتْبَاعُهَا قَادَتَهُمْ
وَفَرَسَاتَهُمْ حَتَّى أَصْبَحَتْ قَرِيشُ وَفِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِهَا
مَأْتَمٌ .. وَدَعْوَةٌ لِلثَّارِ ..

وَكَانَ (حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ) هُوَ أَوَّلُ الْأَسْمَاءِ - بَعْدَ رَسُولِ
اللَّهِ - الَّتِي اتَّجَهَتْ إِلَيْهَا دَعْوَةُ الْإِنْتِقَامِ حَتَّى أَصْبَحَ وَحْدَهُ
(جَيْشًا) يَرَادُ هَزِيمَتُهُ وَقَهْرُهُ ..

وَفِي (لَحْدِ) النَّبِيِّ الْجَمْعُوعُ قَاتِلِ الْمُسْلِمِينَ قَتَلَ الْعَقِيدَةَ

دفاعاً عن دينهم وعن نبيهم .. وقاتل المشركون ثلثاً لعل
لحق بهم وإطفاء لنار الانتقام في صدورهم ..

وكان النصر لجند الله .. وبدأت قلوب الكفار في
الانسحاب .. وخالف الرمة المسلمون وأمر نبيهم
وقائدهم وراحوا يجمعون الغنائم .. وانهزها المشركون
فرصةً وهاجروا المسلمين من الخلف .. واختل ميزان
المعركة ..

وسقط هذا الصراع كان (حمزة بن عبد المطلب) هو
الفرس النصرال الجوال يحمي سيفه وقلب الأعداء ولا
تخطئ ضربته أبداً.. إلا أن عبداً حبشياً كان يترصد به .. جله
هذا العبد إلى أرض المعركة حاملاً رعيه الذي يحمي
استعماله وليس له إلا هلف واحد (حمزة بن عبد
المطلب) .. فقد وعده سيده (جشور بن مطعم) أن يعتقه إذا
قتل (حمزة) كما وعده (وليد بن عتبة) زوجة (أبي
سفيان) أن تهديه فلاندها وأقرطها الثمينة إذا قتل (حمزة) .

وراح العبد الحبشي (وَحْشِي) يبحث عن هدفه وسط
المعركة .. وراح ينحني ويدقق البحث حتى أبصر (حمزة)

فقلبه بحزبه التي لم تحطى فإرداه شهيداً ..

سقط (سبذُ الفرمان) (أمدُ الله) شهيداً على أرضِ
مكة (أحد) بعد أن أبلى بلاءً ليس بعده بلاءٌ ..

إلا أن موتَ حمزة وحده لم يشفِ غليلَ الموتورين ولا
الحاقدين فماتوا بحمته .. بقروا بطنه وانتزعوا كبده ..
وقطعوا أذنيه وأنفه وبعضَ أجزاء من جسمه .. بالها من
نظاعة ..

إنها أمورٌ لم تكن تعرفها العرب .. أمورٌ تتنافى مع أبسط
مشاعر الإنسانية .. وكيف يعرف هؤلاء الأثمنون من مشركي
قريش مبادئ الإنسانية أو شعورَ البشر ؟
وانتهت المعركة وعلتُ المشركون إلى مكة ..

ونزلَ المسلمون أرضَ المعركة يفشون عن شهدائهم ..
كلما رأوا واحداً ترخّموا عليه ونذكروا فضله على أهل
ودينه ..

إني أن رأى رسولُ الله عَمَّهُ (حمزة) ..

كانت لحظةً قاسيةً على نفسِ النبي إن يرى أحبَّ الناسِ
إلى قلبه وقد سقطَ شهيداً ثم مثلَ أعداؤه بحمته ..

وخرجت الكلمات من بين شفوي النبي مملوكةً بدفع
الاسى وقد : (لن أصابَ بمثلِكَ أبداً .. وما وفقت موقفاً
قطُ أغرِظُ مِن موقفي هذا) .

وصمتَ النبي برمةً وكأنه يستجمعُ شتاتَ نفسه ثم قال :
(لئن أظهرني الله على قريشٍ في موطنٍ من المواطنِ ،
لأمثِلُنَّ بثلاثين رجلاً منهم) .

هكذا كان حزنُ النبي على عمه (أسير الإسلام) عظيماً
حتى قال إنه سينتقمُ له من أعدائه ويصنع مثلَ ما صنعوا
مع ثلاثين من رجالهم .

لكن الله أراد أن يُعلِّمَ نبيه ويعلمَ معه المسلمين درساً
عظيماً في العفو والصبر .. فنزل الوحي الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ حَقَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَتُكَلِّمُوا
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَلَا تَكُنْ فِي سَبِيلِهِمْ وَمَا يَتَّبِعُكَ مِنْهُمَا خِصْمٌ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَتْلُو الْقُرْآنَ
لَهُمْ مُخَصِّنُونَ ﴾ [النحل : 125 - 128]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (يَلِ نَصْرِي يَا رَبِّ) .

وَصَلَّى النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى حِثْمَانَ حِمْرَةَ أَوَّلًا .. ثُمَّ جَسَى
الشَّهَدَاءَ وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ .. وَالنَّبِيُّ وَصْحَابُهُ يَصَلُّونَ عَلَى
كُلِّ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ (حِمْرَةُ) فَكَانَتْ صَلَاتُهُ يَوْمَهَا عَلَى عَمِّهِ
سَبْعِينَ صَلَاةً بَعْدَ غَيْرِهِ مِنَ الشَّهَدَاءِ -

وَقَبْلَ أَنْ يُوَارَى حِثْمَانُ (حِمْرَةُ) رَضَوَانُ اللَّهُ عَلَيْهِ رَفَعَ النَّبِيُّ
وَجْهَهُ لِلسَّمَاءِ وَقَالَ : (رَحِمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ كُنْتَ - مَا
عَلِمْتُ - رَصُولًا لِلرَّحِمِ فَعُولًا لِلْمُخْبِرَاتِ) .

صَلَفْتَ يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ..

وَرَضَوَانُ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَسَدَ اللَّهِ .. يَا حِمْرَةَ مِنْ عَبْدٍ الْمَطْلُوبِ .